قضايا ثقافية

صلاة حائرة

للمرة الاولى اشعر بحاجة الى الصلاة... وللمرة الاولى اصلّي! لكني لا ادري الى من اتوجه بصلاتي الحائرة هذه!

عادة يتوجه البشر بصلواتهم الى الله، الى الانبياء، الى القديسين، الى الشفيعين، او الى الرسل الاتقياء... الاّ اني لا اتوجه الى احد من هؤلاء، لان صلاتي تختلف عن صلاة الناس!

سأصلي، وساكيفي بان ارفع صلاتي في الفضاء، لتسمعها اذن الحياة، وليعيها الوجود... لانها صلاة تتفطر عن الم قلب يطلب الخلاص، ومعاناة روح تناشد الانعتاق.

«اشعر بنفسي سجينة، سجينة الضياع والخوف والتردد... واسيرة الحقد والذوات والفراغ!».

«احس بروحي غريبة، غريبة عن هذا العالم المادي المليء بالقشور والتفاهات والسراب... غريبة عن الجسد وعن الارض، وعن الزمان والمكان!».

«اشعر الحياة تنبض في عروقي، لانها مأمورة بان تنبض... واشعر الشمس تشرق في وجودي لان مسارها يمر عبر حياتي... والزمن يتراكض، لان الناموس يجبره على ذلك!».

«احس بالاعباء تثقل كاهلي. لكني لا ارفع يدي لاحطّها عنه... فيدي مشلولة خارجة عن نطاق ارادتي وسيطرتي!».

الظلام يحيط بي، لان النور بعيد، بعيد عن ذاتي، عن فكري، عن جسدي عن وعيي وعن كياني!

«اشعر ببرودة قاتلة يضخها قلبي في عروقي... بدلا من الحياة! كيف الخلاص، كيف الهروب، كيف الانعتاق؟».

للمرة الاولى اصلي صلاة حائرة اطلقتها في الارجاء، علّها تصل الى حيث يجب ان تصل!

للمرة الاولى اصلي، وللمرة الاولى ايضا اسمع جوابا عن صلاتي هذه! فانا لم يسبق لي ان استمعت الى صوت غير صوتي انا! قال الصوت الغريب:

«المفتاح بيدك - هو المحبة والارادة!».

البرودة تلفك. لان قلبك يخلو من دفء المحبة!

الظلام يحيط بك. لانك ابعدت النور عن وجهك.

الفراغ يحيط بك. لانك آثرت البقاء في سجن الجسد المظلم، على الانطلاق الى فضاء الحرية الروحية!

انت مسيّر لانك رفضت نعمة حرية الاختيار!

انت مسيّر لان احدا ما يجب ان يمسك زمام السفينة. يجب على الربان ان يكون موجودا. ولما رفضت ان تكون الربان، جاء من تطوع لهذه المهمة. اتدري من هو هذا المتطوع؟ هو ظلمة نفسك!

انت رفضت المسؤولية. انت رفضت ان تكون حرا. فكيف بالله تشكو الظلم والعبودية؟!

والظلام لا يقود الاّ الى الظلام، الى البرودة والفراغ.

اتريد ان تصل الى الشاطىء، حيث الامان والحرية؟... أستعِد الدفة وَعُد الى مقصورة الربان.

اتدري اين تكمن الدفة؟ في قلبك، في ذاتك،... هي المحبة، الارادة، الوعي، التطور...

وتابع الصوت:

«غريب امرك ايها الانسان، وأغرب ما رأيت فيك ملكا يطرح الصولجان جانبا، ويهجر العرش، ويشكو العبودية والظلم».

غريب امرك ايها الانسان!

تشكو تتظلّم. تصلي ولا تعرف الى من تصلي!...

تائه في خضم المعرفة...

جاحد في عالم الايمان...

وعبد في عالم الحرية...

المهندس جورج الحداد